

العطاء من علامات المؤمن



إنَّ السَّعَادَةَ كُلَّ السَّعَادَةِ، عِنْدَمَا نَزَعَ سَعَادَةً فِي قَلْبٍ مَهْمُومٍ أَوْ مَغْمُومٍ، عِنْدَمَا تَغْنِي عَقْلًا بِالْمَعْرِفَةِ، عِنْدَمَا تَفْتَحُ قَلْبًا عَلَى الْمَحَبَّةِ، عِنْدَمَا تَسَاعِدُ إِنْسَانًا وَتَقْضِي حَاجَةً، عِنْدَمَا تَغْيِّرُ وَاقِعًا فَاسِدًا، عِنْدَمَا تَقِيمُ عَدْلًا وَتَرْفَعُ ظُلْمًا، عِنْدَمَا تَحْوِلُ حَيَاةً إِلَى صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ تَنْفَعُ النَّاسَ، عِنْدَمَا تَتْرَكَ كِتَابًا يُقْرَأُ وَوَلَدًا صَالِحًا. هَذِهِ هِيَ قِيَمَةُ الْحَيَاةِ، وَهَذِهِ هِيَ السَّعَادَةُ الْحَقِيقِيَّةُ.

لقد اعتبر الإسلام العطاء من ميزات المؤمن، هو جزءٌ من إيمانه وتقواه، ولذلك عندما تحدَّثَ عن المؤمن قال: (إِنَّ زَمَانَ الْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنِ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (الأنفال/ 3-2).. فالمؤمن لا يقف عند حدود العبادات، بل يحوّل العلاقة بالله إلى خدمة لعياله، فالخلق كلُّهم عيالٌ له، وأحبُّهم إليه أنفعهم لعياله، لهذا كان الإنفاق من ميزات المتقين: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُطَّامِينَ الْغَيْظَ وَالْعُغَابِينَ عَنِ النَّاسِ

وَإِن يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ (آل عمران/ 134-133). هم ينفقون في كلِّ الحالات؛ في اليسر والعسر، ينفقون حبًّا وعفواً وتسامحاً، كما ينفقون مالاً وطعاماً.. كلاًه عطاء.

لهذا نجد في التشريع الإسلامي تأكيد العطاء في الواجبات المالية من الخمس والزكاة: (وَاعْلَمُوا أَن زَمًا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَإِذَا جَاءَ فَقِيرٌ وَعُرِي إِلَّا بَمَنع الْأغْنِيَاءِ، وَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن عَادَىٰ. وَلَمْ يَقِفِ الْإِسْلَامُ عِنْدَ حُدُودِ الْوَجِبَاتِ، بَلْ حَثَّ عَلَى الْمَسْتَحِبَاتِ: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ) (التوبة/ 103)، لكنَّه لم يرد للصدقة أن تبقى في حدود المال، ففي حديثٍ لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «على كلِّ مسلمٍ في كلِّ يوم صدقة». قيل: ومَن يطيق ذلك يا رسول الله؟ قال: «إماطتك الأذى عن الطريق صدقة، وإرشادك الرجل إلى الطريق صدقة، وعيادتك المريض صدقة، وأمرك بالمعروف صدقة، ونهيك عن المنكر صدقة». وورد أيضاً: «صدقة يحبُّها الله؛ إصلاح بين الناس إذا تفسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا»، «أفضل الصدقة صدقة اللسان»، «عونك للضعيف من أفضل الصدقة»، «أفضل الصدقة إبراد الكبد الحرَّى»، «تبسُّمك في وجه أخيك صدقة». كذلك لم يرد الإسلام للعطاء أن يحدَّ بحدود الزمان والمكان، ولا المذهب والدين: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) (النساء/ 36). (لا يَنْهَأكُمْ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (المتحنة/ 8). ابذل لأخيك دمك ومالك، ولعدوك عدلك وإنصافك، وللعامَّة بشرك وإحسانك، هذا ما يعلمنا إياه إمام المتّقين الإمام عليّ (عليه السلام): «يا كميل، مر أهلك أن يروحوا في كسب المكارم، ويدلجوا في حاجة مَن هو نائم».

عندما تحدَّث الإسلام عن العطاء، لم يرد له أن يكون عطاء الفرد، بل دعا الأُمَّة المسلمة أن تكون أُمَّة الخير في تعاملها حتى مع الذين يختلفون معها: (وَلَا تَتَكُونُ مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْتُونَ مِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران/ 104). وأراد أن تكون الأُمَّة التي تمدُّ جسوراً مع الأُمم الأخرى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ

١٠١) (آل عمران/ 64). وأراد لها أن تكون الأُمَّة التي تتفاعل مع بقية الحضارات: (وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) (الحجرات/ 13).